من أساليب العربية في الدعاء

للدكتور ابراهيم السامرائي
عضو مراسل في المجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

اريد ان اعرض لكلمة « الدعاء » في لغة التنزيل العزيز ثم انتقل من ذلك الى النظر في الدعاء لغة واسلوبا .

قال الله تعالى : « وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين » (١) .

قال ابو اسحق الزجاج

يقول : ادعوا من استدعيتم طاعته ورجوتم معونته في الاتيان بسورة مثله » (٢) .

وقال الفراء : « وادعوا شهداءكم من دون الله » .

يقول : الهتكم ، يقول : استغيثوا بهم ، وهو كقولك للرجل : اذا لقيت العدو خاليا فادع المسلمين ، ومعناه : استغث بالمسلمين ، فالدعاء ههنا بمعنى الاستغاثة .

وقد يكون الدعاء عبادة كما في قوله تعالى : « ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم (٣) » ، وقوله بعد ذلك : فادعوهم فليستجيبوا لكم .

---

(١) ٢٣ البقرة

(٢) اللسان (دعو)

(٣) ١٩٤ الاعراف

يقول : ادعوهم في النوازل التي تنزل بكم ان كانوا آلهة كما تقولون يجيبوا دعاءكم ، فان دعوتموهم فلم يجيبوكم فأنتم كاذبون انهم آلهة .

وقال ابو اسحاق في قوله : « اجيب دعوة الداع اذا دعان » (٤) :

معنى الدعاء لله على ثلاثة اوجه : فضرب منها توحيده والثناء عليه كقولك : يا الله لا اله الا انت ، وكقولك : ربنا لك الحمد ، اذا قلته فقد دعوته بقولك : « ربنا » ثم اتيت بالثناء والتوحيد .

ومثله قوله تعالى : « وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي ... » (٥) فهذا ضرب من الدعاء ، والضرب الثاني : مسألة الله العفو والرحمة وما يقرب منه كقولك : اللهم اغفر لنا ،

والضرب الثالث : مسألة الحظ من الدنيا كقولك : اللهم ارزقني مالا وولدا ،وان سمي هذا جميعه دعاء ،لان الانسان يصدر في هذه الاشياء بقوله : ياالله يا رب يا رحمن ، فلذلك سمي دعاء .

وفي حديث عرفة : اكثر دعائي ودعاء الانبياء قبلي بعرفات لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، وانما سمي التهليل والتحميد والتمجيد دعاء لانه بمنزلته في استيجاب ثواب الله وجزائه كالحديث الآخر :

اذا شغل عبدي ثناؤه علي عن مسألتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين ،

---

(٤) ١٨٦ البقرة

(٥) ٦٠ غافر

واما قوله عز وجل :

« فما كان دعواهم اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين » (٦) ، المعنى انهم لم يحصلوا مما كانوا ينتحلونه من المذهب والدين وما يدعونه الا على الاعتراف بانهم كانوا ظالمين ، هذا قول ابي اسحاق (٧) .

قال : والدعوى اسم لما يدعيه ، والدعوى تصلح ان تكون في معنى الدعاء ،

لو قلت : اللهم اشركنا في صالح دعاء المسلمين او دعوى المسلمين جاز ، حكى ذلك سيبويه ، وانشد :

قالت ودعواها كثير صخبه

واما قوله تعالى : « وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين » (٨) فيعني ان دعاء اهل الجنة تنزيه الله وتعظيمه ، وهو قوله:

« دعواهم فيها سبحانك اللهم » (٩) ثم قال : « وآخر دعواهم ... » .

اخبر انهم يبتدئون دعاءهم بتعظيم الله وتنزيهه ويختمونه بشكره والثناء عليه ، فجعل تنزيهه دعاء وتحميده دعاء ، والدعوى هنا معناها الدعاء .

وروي عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ انه قال : الدعاء هو العبادة ، ثم قرأ : « وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي » (١٠) .

---

(٦) ٩٤ الاعراف

(٧) اللسان (دعو)

(٨) ١٠ يونس

(٩) ١٠ يونس

(١٠) ٦٠ غافر

وقـــال مجاهد في قوله :

« واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهـم بالغداة والعشي » (١١) ، قـــال : يصلون الصلوات الخمس .

وروي مثل ذلك عـــن سعيد بن المسيب في قوله تعالى :

« لن ندعو من دونه الهـــا » (١٢) ، اي لن نعبد الهـــا دونـــه .

والدعاء : الرغبة الى اللـــه ــ عز وجل .

وفي الحديث : لولا دعوة اخينـــا سليمان لاصبح موثقا يلعب بـــه ولدان اهل المدينة ، يعني الشيطان الذي عرض لـــه في صلاته ، واراد بدعوة سليمان ــ عليه السلام ــ قولـــه : وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد مـــن بعـــدي .

ومنـــه الحديث : « ساخبركم باول امري دعوة ابي ابرهيم وبشارة عيسى » ، دعوة ابرهيم ــ عليه السلام ــ قولـــه تعالى : « ربنـــا وابعث فيهم رسولا يتلو عليهم آياتك (١٣) ،وبشارة عيسى ــ عليه السلام ــ قولـــه تعالى : « ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد ».

وفي حديث معاذ ــ رضي الله عنه ــ لمـــا اصابه الطاعون قال : ليس برجز ولا طاعون ولكنه رحمة ربكم ودعوة نبيكم ــ صلى اللـــه عليه وسلم ــ ، اراد قوله : اللهـــم اجعل فناء امتي بالطعن والطاعون .

: دعوت الله لـــه بخير وعليه بشر .

---

(١١) ٢٨ الكهـــف

(١٢) ١٤ الكهـف

(١٣) ١٢٩ البقـــرة

والدعاء واحد الادعية .

هذا هو معنى الدعاء ودلالته في اللغة والاستعمال .

وقد بلغت العربية في اسلوب الدعاء مبلغا قل ان نقف على نظيره في سائر اللغات القديمة .

قلت : « اللغات القديمة » لاخصص ان هذا الاسلوب في صوره ودلالاته خاص بالعربية القديمة وان العربية المعاصرة قد خلت من هذه الصور البيانية التي تبرز في أساليب الدعاء والاساليب الاخرى . الا ترى أن هذه العربية الجديدة قد خلت من « المثل » وان كل ما يتمثل به المعربون احيانا هو مثل قديم استعير لمطالب الحياة الجديدة في بعض الاحايين . وقد يقال : ان اللغات في عصرنا غير محتاجة الى هذه الالوان الفنية لان حاجات جديدة قد جدت صرفت المعربين الى ان يجدوا في اللغة ما يفي بها .

ومن هنا كانت دراسة هذه الأساليب القديمة والوقوف عليها شيئا يدخل في معرفة تاريخ هذه اللغة العريقة .

قالوا : الدعاء ينصرف للخير كما ينصرف للشر ، وقد يدرك هذا احيانا باستعمال الاداتين : « اللام » في الخير ، و « على » في الشر فيقال : ادعو لك ، وادعو عليك .

ويتجاوز استعمال هاتين الاداتين أسلوب الدعاء الى اسلوب « الخير » فينصرف كذلك الى الخير والشر فيقال مثلا : يوم لنا ويوم علينا

وقد بقي في استعمال « على » شيء من هذا الجنوح الى

الشر (١٤) ، ولعل من اجل ذلك عيب قول ابي تمام في مطلع قصيدته الدالية :

على مثلها من اربع وملاعب اذيلت مصونات الدموع السوافك

قلت : ان الادب القديم قد حفل بكثير من فنون الدعاء ولنعرض لذلك فنقول :

تختلف جمل الدعاء في العربية فهي قد تبدأ بالفعل ، وقد تبدأ بالاسم المرفوع ، وقد تبدأ باللام ومدخوله ، وكثيرا ما يأتي معنى الدعاء في عبارة صدرت بالمصدر المنصوب .

فمما بدىء بالفعل قولهم :

عديت خيرا (بالبناء للمفعول) ، ولقيت خيرا ، وصادفت رشدا ، ووقيت الشر ، وسهل الله عليك ، وفرج الله عنك ، كل ذلك وغيره مما يتقرب به دعاء . ولك أن تتسع في هذا فتنشىء ما تريد مما ترمي به الى الخير مفصحا عن رغبتك في ذلك ، فيؤدي الدعاء كأن تقول : هداك الله وبلغت مرادك ، ووفقك الله .

ومثل هذا ما ينصرف الى الشر ارادة الدعاء نحو :

عدمت خيرا ولقيت شرا ، وقاتلك الله ، ولعنك الله وغير ذلك .

ومن هذا الفاظ التصلية والتسليم والرحمة والرضوان على النبيين والاولياء وسائر الصالحين فنقول في « الصلاة والسلام » على نبينا محمد : صلى الله عليه وسلم .

ونقول : عيسى وموسى وسائر الانبياء : عليهم السلام .

---

(١٤) على انه ينبغي الاحتراز في هذا فنقول : قد تستعمل « على » في الدعاء للشر كقولنا : عيسى — عليه السلام — وغيره من انبياء الله مثلا .
كأن يقال : عليه ازكى الصلاة واتم التسليم .

ونقول : ومن حديث علي ـ عليه السلام ـ او رضي الله عنه ، وقد ورد ايضا كرم الله وجهه .

ونقول : وكان عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ .

كما نقول : ومما اثر عن الامام الشافعي واضرابه : رضي الله عنهم

وقد تبدا عبارة الدعاء بالاسم المرفوع نحو :

رحمة الله عليه ، ورضوان الله عليه ، وسلام الله عليه ...

كما نقول : لعنة الله عليه (١٥) ، وقد يعطف عليه كقولهم : لعنة الله وغضبه عليه .

وقد يؤخر المرفوع فيبدا باللام ومدخوله نحو .

لك الحمد ولك الخير ولك السعد .

كما نقول : لك الله ، قال المتنبي في رثاء جدته :

لك الله من مفجوعة بحبيبها قتيلة شوق غير ملحقها وصما

كما يقال : لك الويل ، قال الفرزدق:

لك الويل لا تقتل عطية انه ابوك ولكن غيره فتبدل

وقد ترد عبارة الدعاء مصدرة بـ « لا » النافية بعدها فعل ماض نحو : لا فض فوك في استحسان قول احدهم كانه قيل : احسنت . والمعنى : لا تكسر اسنانك ، والفم ههنا الاسنان كما يقال : سقط فوه يعنون الاسنان .

وقد ترد العبارة بالفعل المضارع : لا يفضض الله فاك .

---

(١٥) القول : والدعاء باستعمال « غضب الله » ينزل بالمدعو عليه من لغة العامة ايضا في مصرنا .

ومن ذلك حديث النابغة الجعدي لما انشد الرسول الكريم القصيدة الرائية قال : لا يفضض الله فاك ، قال : فعاش مائة وعشرين سنة لم تسقط له سن .

وفي حديث العباس بن عبد المطلب انه قال : يا رسول الله اني اريد أن امتدحك ، فقال : قل لا يفضض الله فاك ، ثم انشده الابيات القافية .

ومثل هذا : لا عدمتك ، ولا فلفر حلمدوك .

ومن المناسب ان نشير الى ان الفعل « زال » المفيد للاستمرار يترشح للدعاء اذا سبقه « لا » كقول ذي الرمة :

الا يا اسلمي يا دار مي على البلى ولا زال منهلا بجرعائك القطر

ومن المفيد ان اشير قبل الكلام على « انهلال القطر » في البيت ، الى ان صدر البيت قد حفل بنمط آخر من الدعاء وذلك بالامر في « يا اسلمي » والخطاب الى « دار مي » . يدعو الشاعر للدار ان تسلم على البلى فلا ينال منها الزمان شيئا .

اقول : واستعمال الامر كثير في لغة الدعاء ، ولعله اكثر شيوعا من الصيغ الاخرى وهذا يعني ان « الامر » قد خرج الى الدعاء والالتماس رغبة في شيء ينصرف الى الخير حينا والى الشر حينا اخر . ويأتي في لوازم هذه الجمل الدعائية اسلوب النداء المتمحض للدعاء كقولنا: اللهم انصرنا على الاعداء ، وربنا اهدنا الى سواء السبيل . وانت واجد من هذا الاسلوب الشيء الكثير مما حفلت به لغة التنزيل العزيز كما سنرى .

ولنعد الى بيت ذي الرمة فنقول ان دعاءه بانهلال القطر اسلوب درج عليه العرب في جاهليتهم واسلامهم . وان هذا الدعاء

يكاد يكون لحيانا كالتحية الا ترى ان هـذا يتحقق في قول النابغة :

نبئت نعما على الهجران عاتبة سقيا ورعيا لذاك العاتب الزاري

فلذا كان غيث (١٦) كان منه لهـم سقي وخصب ثـم رعي .

وليس قولهم : « رعاك الله » الا مشيرة الى هـذا الاصل القديم الذي هو الرعي للسائمة من الابل وغيرها ، فكان قولهم « رعاك اللـه » المراد بهـا « الرعاية » تلمح الى دأب الرعاء مع ابلهـم .

ومـن الغيث قالوا جـادك الغيث اي اصابا غيـث جود وهو الغزيـر .

والدعـاء بالسقي كثير في الادب القديم ، قـال جرير :

اتذكـر اذ تودعنا سلمـى بفـرع بشامة سقي البشام

وقولـه :

متـى كان الخيام بذي طلوح سقيت الغيث ايتهـا الخيام

وليس اتفاقا ان يجيء « الغوث » بمعنى النجـدة من « الغيث » وهو الرحمة والخصب والخير والبركة ، وهو غير « المطـر » في هذه الخصوصية الدلاليـة .

قـال الاصمعي : اخبرني ابو عمرو بن العلاء قـال :

سمعت ذا الرمة يقول : قاتل الله امـة بني فلان ما افصحها !

قلت لهـا : كيف كان المطر عندكم ؟ فقالت غثنا ما شئنا .

---

(١٦) اقول فرق العرب بين الغيث والمطر فكان الغيث في الاغلب الاعم خيرا وخصبا وبركة ، ولن يكون مذابا البتة ، اما المطر فينصرف الى العذاب ، كما ينصرف الى حقيقته غير انه لم يرد في القرآن الا في معرض العذاب والشر وذلك في خمس عشرة آية في سور مختلفـة .

والمعنى : سقينا ما شئنا . وهكذا عدلت عن « المطر » في سؤال السائل الى « الغيث » ..

وقد تاتي عبارة الدعاء مبدوءة بمصدر منصوب كقولهم : سقيا ورعيا ، وحمدا لك اللهم ، واهلا وسهلا وغير هذا .

وقد ياتي اسلوب الدعاء رسما من رسوم الادب مما يقتضيه الظرف وحسن المعاشرة ، ومن ذلك قولهم للملك دعاء له :

« بالرفاء والبنين » اي بالالتئام والاتفاق وحسن الاجتماع .

قال ابن السكيت : وان شئت كان معناه بالسكون والهدوء والطمانينة ، ففي الحالة الاولى يكون الاصل « رفا » ، وفي الحالة الثانية يكون الاصل « رفا » آخره الف من قولهم : رفوت الرجل اذا سكنته .

قالوا : رفاه ترفئة وترفيئا : دعا له : قال له : بالرفاء والبنين .

وقالوا . رفع بمعنى رفا . وفي الحديث : كان اذا رفع انسانا قال : بارك الله عليك .

ومن هذا الباب قولهم في الدعاء للعاطس : يرحمك الله .

وهو التسميت اي ذكر الله ـ عز وجل ـ على كل حال ، وقيل : معناه هداك الله الى السمت وذلك لما في العاطس من الانزعاج والقلق .

وقد سمته اذا عطس ، فقال له : يرحمك الله ، اخذ من السمت الى الطريق والقصد ، كانه قصده بذلك الدعاء ، اي جعلك الله على سمت حسن .

ومن هذا الباب ايضا ما يقال للعاثر :

حوجا لك : اي سلامة .

ولما كان الحديث عن العاثر فمن المفيد ان نشير الى ما جاء في هذا من قولهم :

التعس : العثر ، والتعس ان لا ينتعش العاثر من عثرته وان ينكس في سفال .

قال ابو اسحاق في قوله تعالى : « فتعسا لهم واضل اعمالهم » ، يجوز ان يكون نصبا على معنى اتعسهم الله . وقال الاعشى :

فذات لوث عفرناة اذا عثرت فالتعس ادنى لها من ان اقول لعا

ويدعو الرجل على بعيره الجواد اذا عثر فيقول : تعسا ! فاذا كان غير جواد ولا نجيب فعثر قال له : لعا .

وقد يجتزأ من « لعا » بقولهم : عا لك عاليا للدعاء بالاقالة ، انشد ابن الاعرابي :

اخالك الذي ان زلت النعل لم يقل : تعست ، ولكن قال : عا لك عاليا

ما جاء في الدعاء في لغة التنزيل :

قال تعالى :

الا بعدا لعاد قوم هود ٦٠ هود .

الا بعدا لثمود ٦٨ هود .

الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود ٩٥ هود .

والبعد هنا الهلاك ، وقوله : بعدت ثمود اي هلكت ، قال مالك ابن الريب :

يقولون : لا تبعد ، وهم يدفنونني وأين مكان البعد الا مكانيا

وقد فرق في الفعل بين البعد بمعنى الهلاك ، والبعد بمعنى الابتعاد فقيل في الاولى « بعد » مثل « فرح » ، وفي الثانية : « بعد » مثل «كرم » وهذا شيء من لطائف هذه اللغة الكريمة . قال المتنبي :

ابعد بعدت بياضا لا بياض لـه لانت اسود في عيني من الظلم

ومن الدعاء قوله تعالى :

تبت يدا ابي لهب

اي ضلتا وخسرتا ، وقال :

اخسر بها من صفقة لم تستقل تبت يدا صافقها ماذا فعل

ومن الدعاء ايضا قوله تعالى :

فتعسا لهم وأضل اعمالهم ٨ محمد .

اي هلاكا لهم .

وقوله تعالى :

« واجعلني لك مخبتا » .

اي خاشعا مطيعا . وأخبت لله اي خشع وتواضع .

وفي التنزيل العزيز : « فتخبت له قلوبهم » اي تخشع .

ومن الدعاء ايضا قوله تعالى :

وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ١٠ يونس .

« ولا تعدم الآية الاولى من « الفاتحة أن تكون مفيدة للدعاء لمن من يتلوها :

الحمد لله رب العالمين .

ومثل هذا دعاء الصلاة : « لك الحمد ملء السموات والارض » .

ومن الدعاء أيضا قوله تعالى :

« دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام » ١٠ يونس .

وقد يتوصل الى الدعاء بالمصدر « حمدا »فيقال : حمدا لك اللهم .

ومن الدعاء في لغة التنزيل العزيز :

« فسحقا لاصحاب السعير » ١١ الملك .

والسحق : البعد ، فكأن المعنى فبعدا لاصحاب السعير .

ومكان سحيق اي بعيد .

وفي التنزيل : « أو تهوي به الريح في مكان سحيق » .

وحديث « السلام » مستفيض في لغة التنزيل ، وهو في آي كثير يراد به الدعاء ومنه :

واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم .	٥٤ الانعام
ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم .	٤٦ الاعراف
وتحيتهم فيها سلام .	١٠ يونس
لقد جاءت رسلنا بالبشرى قالوا سلاما قال سلام	٦٩ هود
سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار	٢٤ الرعد
والسلام عليه يوم ولد ...	١٥ مريم
والسلام علي يوم ولدت ...	٢٣ مريم
وسلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين	١٨١ الصافات

ومن الدعاء قوله تعالى :

« ربنا اطمس على اموالهم » ٨٨ يونس .

اي غيرها . وقد ورد « الطمس » في لغة التنزيل ومنه قوله :
« ولو نشاء لطمسنا على اعينهم »

وقال تعالى :

« الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب » ٢٩ الرعد .
ذهب سيبويه بالآية مذهب الدعاء .

ويحسن بنا أن نقف طويلا على كلمة « طوبى » التي افادت الدعاء لنقول فيها شيئا وذلك لخصوصيتها واختلاف الاقوال فيها .

طوبى : فعلى من الطيب ، كان الاصل « طيبى » فصير الى الواو لمكان الضمة فيها .

ويقال : طوبى لك وطوباك .

قال يعقوب : ولا تقل : طوبيك .

وجاء في « التهذيب » : ان العرب تقول طوبى لك ، ولا تقول طوباك .

وهذا قول اكثر النحويين الا الاخفش فانه قال : من العرب من يضيفها فيقول : طوباك .

وقال ابو بكر : طوباك ان فعلت كذا ،

قال : هذا مما يلحن فيه العوام ، والصواب : طوبى لك ان فعلت كذا وكذا .

وقالوا : طوبى : شجرة في الجنة .

وقرأ ثعلبة : « طوبى لهم وحسن مآب » فجعل « طوبى » مصدرا كقولك :

سقيا لـه . ونظيره من المصادر الرجعى ، واستدل علـى ان موضعه نصب بقولـه :

« وحسن مآب » .

وهـو خلاف ما ذهب سيبويه الى ان موضع « طوبى » الرفع عطف عليـه بقولـه :

« وحسن مآب » مرفوعـا .

قال ابن جني : وحكى ابو حاتم سهل بن محمد السجستاني فـي كتابه الكبير في القراءات ، قال : قـرا علي اعرابي بالحرم : « طيبى لهم » فاعدت فقلت : « طوبى » ، فقال : « طيبى » ، فاعدت فقلت : « طوبى » ، فقال : « طوبى » ، فلمـا طال علي قلت : طو طو ، فقال : طي طي .

قـال الزجـاج :

جـاء في التفسير عن النبي ـ صلى اللـه عليه وسلـم ـ : ان « طوبى » شجرة في الجنـة .

وقيل : طوبى لهم حسنى لهم ، وقيل : خير لهم ، وقيل : خيرة لهم.

وقيل طوبى اسم الجنة بالهندية وقيل بالحبشية (١٧) .

وقال قتادة : طوبى كلمة عربية ، تقول العرب : طوبى لك ان فعلت كذا وكذا ، وانشـد :

طوبى لمن يستبدل الطود بالقرى ورسلا بيقطين العـراق وفومها

---

(١٧) قال الصاغاني : لعلى هذا ينبغي ان تكون في الهندية « توبا » بالتاء وذلك لان الطاء غير معروف في الهندية .

اقول : ومن قال : طوبى عربية فقد ادرك الصواب ولله لا اصل « ط و ب ، ط ي ب » من الاصول العربية القديمة في العربية وسائر اخواتها من اللغات الساميه .

ومن الدعاء قوله ـ عز وجل ـ :

قال : اعوذ باللـه ان اكون من الجاهلين ٦٧ البقرة

قالت : اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ١٨ مريم

قال : معاذ الله انه ربي احسن مثواي ٢٣ يوسف

ومن الدعاء ايضا قوله تعالى :

ـ هب لنا من لدنك رحمة ٨ آل عمران

والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين ٧٤ الفرقان

وقوله تعالى :

وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي ١٦ ـ النمل

وقوله تعالى :

قاتلهم اللـه انى يؤفكون ٤ المنافقون

ونجتزي بهذا القدر مما ورد من الدعاء في لغة التنزيل العزيز .

وفي الحديث : « طوبى للمفردين » اي الذاكرين اللـه كثيرا .

مـا جاء من صور اخرى في كتب العربية ومـاوردها مرتبة بحسب اوائل المـواد التي وردت فيها في تلك المظـان :

اثـر :جاء في دعاء امير المؤمنين علي بن ابي طالب ـ عليه السلام ـ على الخوارج قولـه :

« ولا بقي منكم آثـر » اي مخبر يروي الحديث .

الربيد :

وفي حديث عمر ـ رضي الله عنه ـ : انه نقم على رجل قولا قاله ، فقال له : اربت عن ذي يديك ، معناه : ذهب ما في يديك حتى تحتاج .

وفي خبر ابن مسعود : ان رجلا اعترض النبي ـ صلى الله عليه وسلم فصاح به الناس ، فقال ـ عليه السلام ـ : دعوا الرجل ارب ما له ، اي سقطت اعضاؤه واصيبت .

قال . وهي كلمة تقولها العرب ولا يراد بها ، اذا قيلت ، وقوع الامر كما يقال :

عقرى وحلقى ، وقولهم : تربت يداك .

قال ابن الاثير : في هذه اللفظة ثلاث روايات :

احداها « ارب » بوزن « علم » ومعناه الدعاء عليه ، اي اصيبت اربه وسقطت ، وهي كلمة لا يراد بها وقوع الامر ، كما يقال : تربت يداك ، وقاتله الله ، وانما تذكر في معنى التعجب .

قال : وفي هذا الدعاء من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قولان :

احدهما : تعجبه من حرص السائل ومزاحمته .

والثاني : انه لما رآه بهذه الحال من الحرص غلبه طبع البشرية، فدعا عليه .

وقد قال في غير هذا الحديث : اللهم انما انا بشر فمن دعوت عليه فاجعل دعائي رحمة .

لبـــت :

قـــال سيبويه : قالوا امت في الحجر لافبك ، اي ليكن الامت فـــي الحجارة لا فيـــك ،

ومعناه : ابقاك اللـــه بعد فناء الحجارة ، وهي مما يوصف بالطـــول والبقـــــاء .

ورفعوه وان كـــان فيه معنى الدعاء ، لانـــه ليس بجار علـــى الفعل ، وصار كقولك : التراب لـــه ، وحســن الابتداء بالنكرة ، لانـــه في قـــوة الدعـــاء .

اقـــول : وفي هذه العبارة التي تنصرف الى الدعاء لون من الوان سلة اللغـــة واشكالها الادبية بالبيئة ، ومثل هذه البيئـــة البدوية الشيء الكثير الذي ابقتـــه العربية في ادبها شعرا ونثرا ومثلا وغير ذلـــك .

اوب .

ويقـــال : للداخل : طوبة واوبـــة .

بؤسى :

وقالوا : بؤسا لـــه ، في حد الدعاء ، وهو مما انتصب على اضمار الفعل غير المستعمل اظهـــاره .

وقالوا : جوسا لـــه وبوسا . والجوس الجوع ومتاني .

بـــرك :

والتبريك : الدعاء للانسان او غيره بالبركـــة .

يقـــال : بركت عليه تبريكا اي قلت لـــه : بارك الله عليك . وبارك اللـــه الشيء وبارك فيه وعليه : وضع فيـــه البركة .

وفي التنزيل العزيز : وباركنا عليـــه .

ومـــن هذا ما هو جار في اللغة المعاصرة فهم يقولون دعاء : بارك اللـــه فيك ، وبورك فيك ، وبوركت .

بجـــل :

قـــال طرفـــة :

الا انتـــي شربت اسود حالكا الا بجلي من الشراب الا بجل

قـــال : اراد المـــاء ،

وقـــال شمر : وقيل اراد سقيت سم اسود .

بعـــد :

والبعـــد : الهلاك ، وقد مـــر في الكلام على لغـــة التنزيل .

بلس :

ويقال : ارانيك اللـــه على البلس . والبلس غرائر كبار من مسوح يجعل فيها التبن ويشـهر عليها من ينكل بـــه وينادى عليه .

تبـــب :

التب والتباب : الهلاك والخسران .

وتبا لك نصب على الدعاء كما تقول سقيا لـــك .

وفي حديث ابي لهب : تبـــا لك سائر اليوم ، الهذا جمعتنا .

وقـــد مر بنا هذا الدعاء في لغـــة التنزيل .

تـــرب :

يقال : تربا لـــه وجندلا ، وهذا من الاسماء التي تفيـــد الذات اجريت مجرى المصـــادر المنصوبة على اضمار الفعل غير المستعمـــل اظهاره في الدعـــاء .

وكانه بـــدل من قولهم :

تربت يـــداه وجندلت .

وفي الحديث : « ان النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ قال : تنكح المـــرأة لمسمها ولمالها ولحسبها فعليك بذات الدين تربت يـــداك » .

قال ابو عبيد : قوله : تربت يداك ، يقال للرجل اذا فعـــل مالـــه : قد ترب اي افتقر ، حتى لصق بالتـــراب .

ومنه قوله تعالى : او مسكينا ذا متربـــة .

قـــال : ويرون ان النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ لم يقصد الدعاء عليه بالفقر ، ولكنها كلمة جارية على السن العرب يقولونها ، وهـــم لا يريدون بهـــا الدعاء على المخاطب ولا وقوع الامر بهـــا .

وقيـــل معناها لله درك ، وقيل : اراد بـــه المثل ليرى المأمور بذلك الجـــد ، وانه ان خالفه فقد اساء .

وقيـــل : هو دعاء على الحقيقة ، فانه قد قال لعائشـــة ـــ رضي اللـــه عنهـــا :

تربت يمينك ، لانـــه رأى الحاجة خيرا لهـــا .

قـــال : والاول الوجه . ويعضده قوله في حديث خزيمة رضي الله عنه : أنعم صباحا تربت يداك ، فان هذا دعاء لـــه وترغيب في امتثاله

ما تقدمت الوصية به . الاتراه قال : انعم صباحا ، ثم عقبه بقوله : « تربت يداك » .

وكثيرا ما ترد للعرب الفاظ ظاهرها الذم وانما يريدون بها المدح كقولهم : لا اب لك ، ولا ام لك ، وهوت امه ، ولا ارض لك ونحو ذلك.

وقال بعض الناس : ان قولهم : تربت يداك يريد به استغنت يداك .

قال : وهذا خطأ لا يجوز في الكلام، ولو كان قال لقال : اتربت يداك .

ترك :

والتريك : العذق اذا نفض فلم يبق فيه شيء ، ولا بارك الله فيه ولا تارك ولا دارك كله اتباع .

وجاء في اراجيزهم المشهورة في شواهد العربية :

لقد رايت عجبا مذ امسا
عجائزا مثل السعالي خمسا
يلكان ما في رحلهن همسا
لا ترك الله لهن ضرسا
ولا تبين الدهر الا تعسا

تعس :

اقد مر بنا في قوله تعالى :

« فتعسا لهم واضل اعمالهم » .

واصل التعس العثر .

وقال الشاعر :

وارماحهم ينهزنهم نهـز جبـــة يقلن لمـن ادركن تعسـا ولا لعـــا

على أن استعمال « التعس » وارادة الدعاء عليه قد بقي في اللغة المعاصرة وان جهل المعربون انـه دعاء ، فيقال مثلا : تعسا لـك . ويقال : تعسا لـه ونكسا .

والنكس والنكاس : العود في المـرض .

وفي حديث ابي هريرة : « تعس عبد الدينار وانتكس اي انقلب على رأسه ، وهو دعـاء عليه بالخيبة .

توس :

ويقال : توسا لك ، مثل قولهم : بوسا لك ، وقد مر بنا ذلك .

تـوب :

التماس التوبة في احاديث الدعـاء كثير ، كقولهم : اللهم اغفر لنا ذنوبنا وتـب علينا ...

وفي دعـاء السفر : يقال :

توبا لربنا أوبـا ، اي توبا راجعا مكررا .

ثكـل :

يقال في الدعاء على رجـل :

ثكلتـك امـك .

والثكل : المـوت والهلاك . والأم ثاكل وثكول وثكلى .

وفي الحديث انـه قال لبعض اصحابه : ثكلتك امـك اي فقدتك ، والثكل فقد الولـد .

ولا يقـال : ثكلك ابوك .

على انـــه يقال في الدعاء : لا اب لك كما يقال لا ام لك .

وقال ابو علي : « لا ابـــا لك » كلام جرى مجرى المثل ، وذلـــك انك اذا قلت هذا فانك لا تنفي في الحقيقة ابـــاه ، وانما تخرجه مخرج الدعاء عليه ، اي انت عندي ممن يستحق ان يدعى عليه بفقد ابيـــه ، وانشد توكيدا لمـــا اراد من هذا المعنى قوله :

ويترك اخرى فردة لا اخا لهـــا .

ولـــم يقل : لا اخت لها ، ولكن لمـــا جرى هذا الكلام على افواههم : لا ابـــا لك ولا اخا لك قيل مع المؤنث على حـــد ما يكون عليه مع المذكر ، فجرى هذا نحوا من قولهم لكل احد من ذكر وانثى او اثنين او جماعـــة :

الصيف ضيعت اللبـــن .

ويؤكـــد عندك خروج هذا الكلام مخرج المثل كثرته في الشعر ، وانه يقال لمـــن له اب ولمن لا اب له ، لانه اذا كان لا اب له لم يجـــز ان يدعى عليه بما هو فيه لا محالة ، الا ترى انـــك لا تقول للفقير افقره اللـــه ؟ فكما لا يقول لمـــن لا اب له : افقدك الله اباك ، كذلك تعلم ان قولهم لمـــن لا اب له : « لا ابـــا لك » لا حقيقة لمعناه مطابقة للفظـــه ، وانما هي خارجة مخرج المثل على مـــا فسره ابو علي ، قال عنترة :

فاغني حياتك لا ابا لك! واعلمي انني امرؤ سأموت ، ان لم اقتل

وقـــال المتلمس :

الق الصحيفة ، لا ابالك ، انـــه يخشى عليك من الجباء النقرس

ويدلك على ان هـــذا ليس بحقيقة قول جرير :

يـــا تيم تيم عدي لا ابـــا لكم لا يلقينكم في سوءة عمـــر

فهـذا أقوى دليل على أن هذا القول مثل لا حقيقة لـه ، الا ترى أنـه لا يجوز أن يكون للقيم كلها أب واحـد ، ولكنكم أهل الدعاء عليه والاغـلاظ لـه ؟

وروي عن النضر بن شميل : أنـه سأل الخليل عن قول العرب : لا أبـا لك ، فقال : معناه لا كافي لـك .

وقـال الفراء : قولهم : « لا أبـا لك » كلمة تقـول بهـا العرب كلامهـا .

أقـول : ومقالة الفراء ذات قيمة ولـو انك قرأت قول زهير :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا ، لا أبا لك ، يسأم

أحسست أن قوله : « لا أبـا لك » كلام معترض لا يـدل على خصوصية معنوية ، بل هو تعبير جميل استحسنوه فاستعملوه كثيرا واقيم بـه الوزن في البيت .

الا ترى أن قولهم في الشعر : هديت ووقيت ونحوهما شيء يقام بـه الوزن وليس من ارادة للدعاء .

أما قولهم : لا أم لك فقد ورد في حديث ابن عباس أنه قال لرجل :

« لا أم لك » قـال : هو ذم وسب ، أي أنت لقيط لا تعرف لك أم ، وقيل قد يقع مدحا بمعنى التعجب منـه .

أقـول : وهذا الشيء الاخير ، وهو أن عبارة الذم الدعائية يراد بهـا المدح ، جارية في الالسن العامية الدارجة ، الا تراهم يقولون : يخرب بيتك أو انهجم بيتك ، أو اللـه يلعنك ارادة المدح على طريقـة التعجـب ؟

تـــب :

والإتاب أو الاتب : التـــراب .

وقالوا : بفيه الاتاب على الدعاء ، كأنهم قالوا بفيه التراب أو الحجر .
وقالوا : الاتاب لك والتراب ، والنصب على الدعاء كأنـــه مصدر .

وهكـــذا نرى أن « التراب » وما في معناه أو يقرب منه قد دخل في اللغـــة القديمة في السب والشتم والذم فخرج على الدعاء ، وقد مـــر بنـــا قولهم : تربت يداك .

جحـــد :

والجحد : القلة من كل شيء .

وتكدا لـــه وجحدا دعاء عليه .

جـــرب :

والعـــرب تقول في دعائها على الانسان : ما لـــه حرب وجرب .
والحرب كالكلب ، وقوم حربى كلبى والفعل كالفعل .

والجرب معروف .

جنـــدل :

انظر : تربـــا وجندلا الذي مر بنا قبل صفحات .

جوس :

انظـــر « بؤس » .

حـــرب :

انظـــر جـــرب .

حـــرر :

تقول العرب : ما لـــه أحر الله صدره ، وذلك في الدعاء على الانســـــان .

ويقولون ايضـــا

رمـــاه الله بالحرة والقرة ، اي بالعطش والبرد .

حلـــق :

ومـــا يدعى على المـــراة قولهم : عقرى حلقى وعقرا حلقا اي عقرها اللـــه وحلقها اي حلق شعرها او اسابها وجـــع في حلقها .

حـــوب :

قالوا : اليك ارفع حوبتي اي حاجتي ، وفي روايـــة : ترفع حوبتنا اليـــــك .

وفي الدعاء علـــى الانسان :

الحق اللـــه بك الحوبة ، اي الحاجة والمسكنة والفقـــر .

حـــوج :

يقال للعاثر : حوجا لـــك اي سلامة ، وقد مـــر بنا هذا .

خضر :

ويقال في الدعاء : ابـــاد الله خضراءهم ، اي سوادهم وعددهم ، وقيـــل : خصبهم وسعتهم .

وقالوا ايضـــا : رمى اللـــه في عيني فلان بالاخضر ، وهو داء يأخذ العيـــن .

خطـا :

في حديث ابن عباس : انـه سئل عن رجل جعل امـر امراتـه بيدها فقالت : انت طالق ثلاثا . فقال: خطا اللـه نواها الا طلقت نفسها .

ويقال لمن طلب حاجة فلم ينجح : اخطا نوؤك ، اراد اللـه نواها مخطئا لا يصيبها مطره .

ويروى : خطى اللـه نواها ، بلا همز .

خلـب :

وفي حديث الاستسقاء : اللهـم سقيا غير خلب .

خـير :

ومـن دعائهم في النكاح : على يدي الخير واليمن .

ذرا :

وجاء : اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق وذرا وبرا .

رفـا :

قالوا : بالرفاء والبنين في الدعاء للملك وقد مر بنـا انظرها قبل صفحـات .

رفـح :

انظر الموضوع نفسه (رفـا) .

رقـا :

وروى المنذري عن ابـي طالب في قولهم : لا ارقـا الله دمعته ، قـال : معناه لا رفع اللـه دمعته .

وفي حديث عائشة ـــ رضي الله عنها ـــ : فبت ليلتي لا يرقا لي دمع .

ورقأت الدمعة ترقـــا ورقوءا : جفت وانقطعت .

سحـــق :

ويقال : سحقا لهـــم اي هلاكا ، وانظر ما جاء من هذا في لغـــة التنزيل مما افـــاد الدعاء وقد ذكر قبل صفحات .

سلـــم :

مـــر بنا حديث « السلام » ودلالته في الدعاء في جملة ايات كريمة .

طمس :

مـــر بنـــا في الكلام على ما في آي القرآن من الدعـــاء .

طـــوب :

سبق الكلام على « طوبى لهـــم » .

ظبـــي :

(وانظـــر عـــدد) :

وقولهم : بـــه لا يظبي ، يرادُ بـــه الهلكة كما ورد في قول العرزمي يخاطب مسكينا الدارمي وكـــان قد رثى زياد بن ابيـــه فقال :

امسكين ، ابكى الله عينك انما ... جرى في سلال دمعهـــا فتحدرا

اقول لـــه لمـــا اتاني نعيـــه ... بـــه لا يظبي بالصريمة اعفـــرا

اتبكي امرءا من آل ميسان كافرا ... ككسرى على عدانه او كقيصرا

عشـــج :

وجـــاء في تلبية بعض العرب في الجاهلية :

لا هـم لولا ان بكرا دونكا

يعبـدك النـاس ويفجرونكا

مـا زال منـا عشج يأتونكا

والعشج ، بفتحتين ، : الجماعة مـن الناس .

عقـر :

انظـر « حلق » .

وجـاء ايضـا :

وقالت ام سلمة لعائشة ـ رضي الله عنها ـ عنـد خروجهـا الـى البصرة :

سكن اللـه عقيراك فلا تصحريها ، اي اسكنك اللـه بيتك وعقارك وسترك فيه فـلا تبرزيه .

عمـي :

قالوا : واذا ارشدك انسان الطريق فقل :

لا يعـم عليك الرشـد .

وهو دعاء لـه بالخير والهدى .

عمـر :

وعمره اللـه وعمره اي ابقاه ، على الدعاء .

غبـط :

وجـاء في الدعاء : اللهم غبطا لا هبطا ، اي نسألك الغبطة ونعوذ بـك ان نهبط من حالنا .

غـــرب :

وجـــاء في دعاء ابن هبيرة :

اعوذ بك من كل شيطان مستغرب وكل نبلي مستغرب .

غضر :

ويقال ابـــاد الله غضراءهم ، اي سعتهم وخصبهم .

غفـــر :

غفار ! غفر الله لهـــا .

قال ابن الاثير : يحتمل ان يكون دعاء لهـــا بالمغفرة او اخبارا ان اللـــه تعالى قد غفر لهـــا .

غـــور :

وقالوا : غارهم اللـــه بخير اي اصابهم بخصب وغيث .

وفي الدعاء : اللهـــم غرنا منك بغيث وبخير .

فـــدي :

ويقال : فدى لـــك اهلي ، على الدعاء اي يفديك اهلي .

ويقال : فداك ابي كمـــا يقال : فديت .

وكثيرا ما نقـــرا : جعلت فداك .

وانشد الاصمعي للنابغـــة :

مهلا ! فداء لك الاقـــوام كلهم ومـــا اثمـــر من مال ومـــن ولد

ومنـــه قول نفيلة الاكبر الاشجعي (ازر) :

الا ابلغ ابـــا حفص رسـولا فدى لك من اخي ثقـــة ازاري

قتل :

انظر ما جاء من اسلوب الدعاء في ادب القرآن الكريم .

قذي :

وجاء قول جميل :

رمى الله في عيني بثينة بالقذى وفي الغر من انيابها بالقوادح

قرر :

ويقال : اقر الله عينه ، من المقرور وهو الماء البارد .

كلكك :

وروي عن صفوان بن امية انه قال يوم حنين عند الجولة التي كانت من المسلمين ، فقال ابو سفيان : غلبت والله هوزان ، فاجابه صفوان وقال :

بفيك الكلكك لان يربني رجل من قريش احب الي من ان يربني رجل من هوزان .

كلا :

وقال الشاعر :

ان سابني واللـه يكلؤها ضنت بزاد ما كان يرزؤها

لحى :

وفي حديث لقمان : فلحيا لصاحبنا لحيا اي لوما وعذلا ، وهو نصب على المصدر كسقيا ورعيا .

وقال عنتـــرة :

الـــم تعلم لحاك اللـــه اني اجـــم اذا لقيت ذوي الرماح

لقـــي :

انظـــر « ترك » .

نفس :

وجـــاء في الدعاء : اللهم نفس عني ، اي فرج عني ووسع علي .

نكـــد :

انظـــر « جحـــد »

هبـــل :

الهبل : الثكل ، وهبلته امـــه بمعنى ثكلته .

وهبلتك امـــك على الدعاء .

وفي حديث عمر — رضى الله عنه — حين فضل الوادعي سهمان الخيل على المقاريف فاعجبه فقال : هبلت الوادعي امـــه لقد افكرت بـــه !

فالثكل هو الاصل في المعنى ، ثم يستعمل في معنى المدح والاعجاب ، يعني ما اعلمه وما اصوب رايـــه .

وفي حديث الشعبى : فقيل لامك الهبـــل .

هنـــا :

وقالوا : هنئت ولا تنكا ، اي هناك الله بما نلت ولا اصابك وجع .

وقالوا : لا هناك المرتـــع ، اي لا اصبت خيرا .

هـــوي :

ويقال كعب بن سعد الغنوي يرثي اخاه :

هوت امه ما يبعث الصبح غاديا ومـــاذا يؤدي الليل حتى يؤوب

ومعنى هوت امـــه اي هلكت امـــه .

ومـــا زال هذا الدعاء معروفا لدى الامهات في العراق في لغتهـــن الدارجة حين يعلمن بوفاة شاب يقلن : ماتـــت امه.

ويـــبه :

كلمة مثل ويل يراد بهـــا التعجب .

ويبـــا لهذا الامر اي عجبا .

ووبيا ازيد مثل وويلا لزيـــد .

ومنـــه قول كعب بن زهير :

الا ابلغـــا عني بجيرا رسالـــة علي اي شيء ويب غيرك دلكا ؟

ويـــل :

كلمة مثل ويح الا انهـــا كلمة عذاب ، ومن هنا وردت في اسلوب الدعاء في قولـــه تعالى :

ويـــل للمطففين ...

وقولـــه : ويل لكل همزة لمـــزة .

وفي آيـــات اخرى :

وقالوا : ويامه والاصل : ويل لامه نحذف اللام ثـــم الهمزة وركبت الكلمتان على طريقة النحـــت .

ومن اقوال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ويلمه مس حرب .

اقول : هذه نماذج بل شذرات من العربية مما استقريته من « لسان العرب » وغيره تشتمل على اسلوب الدعاء في العربية .

وعندي ان الالفاظ التي تقدم بين يدي الملك والامير والرئيس والعالم الجليل وغير هؤلاء من اهل الشان ضرب من اسلوب الدعاء في العربية المعاصرة نحو :

جلالة الملك .

ومعالي الوزير .

وسيادة الرئيس او فخامته .

وسعادة الامير .

وسماحة العالم ، ونيافة الحبر .

وبعد الم يتوصل النابغة الذبياني الى النعمان مخاطبا بقوله :

اتاني ابيت اللعن انك لمتني وتلك التي تبتك منها المسامع

ثم اني قد وجدت من فيض هذه العربية السمحة ما يحق للمرء ان يملأ ماشيه فخرا اذا قرأ مستمتعا بعض ما ورد من بيان التوحيدي في « اشاراته الالهية » فوجد من سيادة الدعاء اعلاق العربية النفيسة .

اللهم اني قد خدمت كتابك الكريم واللغة العلية التي جاءت فيه فاكتبني مع الصالحين .

د. ابرهيم السامرائي